أحبة الضاد
When the night is silent
سيرة عباد
حين يصمت الليل
فاطمة الزهراء الشاد

حين يصمت الليل

فاطمة الزهراء الشاد

تصنيف العمل: خواطر

المؤلف \ ة: فاطمة الزهراء الشاد

تصميم الغلاف: ميري عماد

الاخراج الفني: عزة كمال

دار احبة الضاد للنشر الالكتروني

رئيس مجلس الإدارة:

سلمى جمال هدير إبراهيم

أحبة الضاد

لا زالت تلك الفكرة تطاردني

هل حقا أحببتني

أم كان يُخيل لي ذلك

*****

غريب هذا الإنسان غريب

كيف يستطيع كتمان أشياء فوق قدرته

كيف يمكنه التظاهر بالسعادة و هو حزين

يمكنه أن يظهر لك أنه يحبك و هو لا يحبك

غريب ، كيف أنه للوجه الواحد العديد من الأقنعة

*****

تصرخ ثم تصمت

تثور ثم تهدأ

و أنا أقف بتباث أمامك أيها البحر

لكن لا شئ تابث داخلي

أبدو هادئا مثلك

لكني لست كذلك

و لا أنتَ كذلك

أيها البحر أنت تشبهني كثيرا

حين تتعبني الحياة ألجأ إليك

و حين تتعب أنت يا بحر

إلى أين تذهب ؟

*****

و رحلت هذه المرة كذلك رحلت مثل كل مرة تأتي فيها ثم ترحل في صمت

لكني لم أنكسر لم أبكي حتى

و لم أعد أنتظرك كما في السابق

لأني أعرف أنك مهما عدت ، سترحل

اِعتدت على غيابك

*****

و حين هاجمتني تلك الأفكار

هربت إلى الشارع كالمجنون

أصرخ لقد صرخت كثيرا

و لم يسمعني أحد بكيت كثيرا

و لم يراني أحد حتى أنهم

لم ينتبهوا لوجودي

و كأنني غير مرئيا

*****

كنت في الشارع

و كان في الساحة

كنت متعبا

كان حزينا

يعزف مقطوعة حزينة مثلي

و لما ذهبت إليه

وقفت متسمرا

أسمعه و أنظر إليه

و أقول في نفسي

يا ترى ما الذي جعله

يعزف على أوتار

قلبي بتلك الدقة .

*****

و جلست وسط الخراب

بعد أن كان الخراب

يجلس بداخلي

لماذا حدث كل هذا لي

كيف اِنطفئ ضوء حياتي

و تركني في العتمة

كيف رحلت تلك الأيام

التي كنت فيها سعيدا

متى تغيرت و لم أعد أنا أنا

*****

نظرت للسماء فوجدتها

ليست كالسماء

لا تشبه السماء

و لأول مرة

تسلل الخوف لقلبي

و أنا أتطلع للفراغ

المتواجد بين النجمات

هذه الليلة ليست كباقي الليلات .

*****

يبدو أن قلبك أصبح باردا .

هكذا قال لي

هو لا يعلم أنني لم أكن كذلك

لا يعلم كم مرة تشبتت بالأمل و خانني

كم مرة اِندفعت و خاب ظني

كم أكل الإنتظار من قلبي و أنا

أنتظر الأشياء متأملا عودتها

كم مرة كسر فيها قلبي

و لا زلت صامدا

هو لا يعلم كم مرة ضحكت

و الدموع مختبئة في عيني

*****

من أنتَ؟

أنا هو ذلك الشخص الذي

يظهر لك أنه يقاوم

لكنه في الحقيقة

غارق حتى الأعماق

و أنا هو ذلك الشخص نفسه

الذي يبدو لك و كأنه يطير

و جناحيه مبتورة

أنا هو ذلك الشخص

الذي يبدي لك

عكس ما يشعر به .

*****

قد أبدو لك يائس مكسور مهزوم متعب

لكني في الحقيقة لست كذلك

أنا صامد و مفعم بالصبر

وفي قلبي يختبئ القليل من الأملو الألم

والبعض من العزيمة

والقليل من شئ لا أعلم بالضبط ما هو

لكنه هو ذلك الشئ الذي يبقيني

على قيد الحياة

وهو الذي يعيدني دائما من حافة الموت

*****

و كنت أريد أن أقول لك

أشياء كثيرة لكني لم أقلها

و كأنني فجأة أصبحت أخرسا

وددت لو قلت لك لا ترحل

فأنا من دونكأشبه صحراء قاحلة

فرحلتِ و أصبحت بعدك بلا قلب

*****

و حين جُرحت

وددت أن أهاجر

لبلاد بعيدة غريبة

كي أنسى

فرحلت و لم أنسى

و ها أنا أعود

كل مرة محملا بالخيبات

" كل محاولاتي لنسيانك كانت فاشلة "

*****

منذ ذلك اليوم

و أنا أهرب

أهرب من الذكريات

الطرقات الأغاني المطر

من كل الأشياء التي تذكرني

بك لكن تلك الذكريات نفسها

لسبب لا أعرفه تطاردني .

*****

بعض الكلمات مثل الرصاصات

إذا أطلقتها لن تعود للمسدس

تدخل للقلب مباشرة و تقتله .

*****

أنت لا تعرفه ..

تعرف فقط ما يريد هو أن يظهره لك ،

أنـــت لا تعـــرف ســـبب شـــروده ، كثـــرة صـــمته ، هـــدوءه ، عيونـــه ، ملامحـــه المنهكـــة ، مخاوفـــه، تلك الإبتسامات التي يغطي بها حزنه

لا تعرف لماذا يريد البقاء لوحده .

أنـــت لا تعلـــم مـــا معنـــى أن تكـــتم و تخفـــي كـــل شـــئ بـــداخلك ثـــم تفقـــد الســـيطرة و يتســـرب كـــل مـــا أخفيته على وجهك و طباعك .

*****

و قال لي أحدهم ذات مرة ..

يمكنني أن أغفر لك كل شئ ، كل شئ تماما

مثلا أخطاءك التي لا تنتهي

أكاذيبك المتجددة طباعك السيئة

قسوتك المعتادة مزاجك المتقلب

كل شئ ، عدا شئ واحد

لا أحتمل أن تتجاهلني و تتجاهل حبي

كأن تمر بجانبي و كأني لا أعنيك

*****

و لقد رميت سلاحي

منذ وقت طويل

و ذهبت إلى هناك إلى المرسى

جلست و كوب الشاي بيدي

أراقب السفن والطيور

غروب الشمس وطلوح الصبح

و كأن لا شئ في هذه الحياة يهمني .

*****

أحيانا أشعر أنني ساقط في القاع

في حفرة تبعد عن الأرض بأمتار كثيرة

أعيش مخنوقا في الظلام

في النهار أشعر بخطوات الأشباح تمر من فوقي وفي سكون الليل أراهم يحومون حولي

*****

الكثير من الأيادي تمتد لي لكن هناك شئ في داخلي يمنعني من الصعود .

أنتظره أعلم أنه لن يأتي .. لكني آمل ذلك كثيرا

لأنني أعلم أنه غير ذلك لا يمكنني العيش أبدا.

*****

لن أسامحه .. لن أسامح

ذلك الألم الذي اِنتشر بملامحي

ذلك الوجع الذي أضاف ثلاثون سنة من الخبرة إلى عمري و أنا لا زلت في ربيع أيامي

ذلك الشئ الذي جعلني أعرف نهاية الأشياء قبل بدايتها .

*****

تشبه البحر بكل تفاصيله في هدوءه حزنه

وأعماقه التي لا أحد يعلم ما فيها

تشبه لوحة رسمها فنان

كلما تطلعت في أحد أجزاءها

رأيت شيئا جديدا

و أنت لا تعلم ما الذي يحصل

تشبه لمقطوعة

جميلة و حزينة في نفس الوقت

و أنا لا يمكنني العيش

دون أن أسمعها و أشعر بها

*****

و رفعت رأسي إلى السماء

فشعرت أنني لم أعد وحيدا بعد الآن

و أن الله معي

فرفعت يداي إلى الأعلى

وقلت يا رب و قلبي

*****

يا مسافر

أ أنتَ مسافر أم هارب مثلي ؟

هل أنت كذلك

لم تستطع العيش

على الأطلال و الذكريات

أم أنك حقا تريد أن تسافر

أن تترك كل شئ

وراء ظهرك و تنسى

وأما أنا سافرت كثيرا

و تمنيت أن لا أعود

و في كل مرة أعود

و بحوزتي تلك الذكريات

التي سافرت لأنساها

*****

و في الأخير

عدت مهزوما

بعد أن قدمت كل

ما لدي و لم يكن ذلك كافيا

عدت و أنا منهكا من حرب

ظننت أنني سأخرج

الرابح وخسرت

لقد خانني الأمل مرة أخرى .

*****

تم رفضي كثيرا ..

بكيت ، يئست

كسرت تعبت

و لم أتوقف

لا زلت أركض

بقلب مجروح ينزف

و بروح فارغة

و الخيبة مرسومة

على وجهي

لا زلت قويا

رغما عن كل شئ

لا زلت أحلق

في السماء

و كأني لست مكسور الجناح

*****

حين تصب الشتاء

و تتبلل الشوارع

يحيى الحب في قلبي

من جديد و أحن إليك

ثم تنتابني رغبة كبيرة

في الخروج

و البحث عنك

أعلم أنك بعيد

و بالرغم من ذلك

أخرج و حين أخرج

لا أجدك فأعود للبيت

مجروحا مكسورا

مثل كل المرات

و كأنها أول مرة

*****

و كنت أحاول دائما

أن أبقى قويا

حتى في لحظات

ضعفي و انكساري

أن أبقى واقفا

و الكل ينتظرسقوطي

وأتشبت دائما بالأمل

بالرغم من أن اليأس

يستوطن قلبي

أن أواجه كل المخاوف

حتى لا أخاف

*****

رفضت أن أشكو همي لقريب

فخرجت أبحث عن عابر

أشكي له همي ..

وقفت بجانب الطريق

و بقيت أنتظره

و لما رأيت رجلا طويلا يمشي

ناديته بصوت عال

أنت أيها الغريب

هل أنت مثلي تبحث

عن غريب تحكي له قصتك

تعال أيها الغريب

لأخبرك بسر لا يعلمه أحد

اِقترب أيها الوحيد

و فضفض لي

دعنـــي أحمـــل معـــك ذلـــك الثقـــل الموجـــود علـــى كتفيك

*****

و حين رحلت

لم ترحل وحدك

لقد أخدت كل الأشياء

الجميلة معك

أخدت الضحكة

الفرحة الأمل القلب

و كأنك أخذت كل شئ

وتركت وراءك شخصا

غير صالحا للحب مرة أخرى

*****

الله وحده يعلم

كم مرة حاولوا

قتل عزيمتي

و قتل ذلك الحلم

اللامع في عيني

وكم مرة وضعوا لي

متاهاتفي نهاية طريقي

و الله كذلك وحده يعلم

كم مرة صبرت

كم تغاضيت و تجاهلت

كأنني لا أهتم

و كم مرة اِخترق

الرصاص قلبي

و بدوت و كأن الرصاص لم يصبني

*****

لدينا دائما أشياء لا نستطيع البوح بها

أشياء نهرب منها ، كي لا نواجهها

يوجد دائما شئ نريد أن ننساه ..

لا نحن ننسى و لا هو ينسى

هنـــاك دائمـــا أشـــياء تطاردنـــا و تظهـــر أمامنـــا فـــي الوقت الخطأ

هناك ذكريات تظل دائما تلاحقنا .

*****

و في داخلي غضب لا يردع

لا يقل و لا يخف

يتضاعف مرة بعد مرة

غضب لا شئ يستطيع إخماده ، مثل البركان

تماما ، يولد من جديد كل مرة ..

غضب يجعلني مثل المجنون

أصرخ و أكسر كل الأشياء التي أمامي .

*****

و أجلس وحيدا في المقهى

أطلب قهوة و جريدة

أشرب القهوة و أغطي وجهي بالجريدة

كي لا تلتقي عيوني بعيونهم

المليئة بالشفقة و كأنهم يشيرون

لي بأصابعهم و يقولون

أنظروا إلى ذلك المسكين إنه وحيد

*****

ليل وبرد

و القمر يختبئ

وراء الضباب خجلا

و أنا وحدي جالس

شارد و في يدي

قلم و دفتر

و الذكريات تحاوطني

من كل صوب و حدب .

*****

لقد كنت صامتا

طوال حياتي

أدفن كل الأشياء بداخلي

وحتى حين جرحتني

بقيت أخبئها

و مرت أيام

اِبتعلت فيها الكثير

من المشاهد

و الكلمات والمواقف

حتى وصلت إلى

المرحلة التي لم

أعد قادرا فيها

أن أصمت و على أبسط الأشياء .

" أنـــت لا تســـتطيع إخفـــاء شـــئ دون أن يأخـــذ منك "

*****

و أنا جالس شارد

أنظر لغروب الشمس تذكرتك

تذكرتك حين ذهبت بلا موعد

لقد اِنتظرتك كثيرا

كما أنتظر رجوع الشمس

فعادت الشمس و لم تعد أنتَ

*****

أنا لست صامتا

و لم يكن الصمت من طباعي

أنا لم تعد لي الرغبة في الكلام ، في التحدث

لأن ذلك في الكثير من الأحيان دون جدوى

*****

عندما تدق أجراس الحرب

لا أمل في رفع رايات السلام

كذلك عندما يدق الحب باب القلب متأخرا

لا أمل للسماح له بالدخول

وفي كلا الحالتين هناك ضحايا

هناك جروح ، و إصابات وهناك إعاقات

الإختلاف الوحيد هو أن في الحرب تقاتل في الخارج ، تقاتل أعداءك ، أما في الحب فأنت تقاتل ما في قلبك ، تقاتل نفسك .

*****

لا يطمئن من كان الخوف قابع في فؤاده

لا يرتاح ذلك الذي متعب من الداخل

و لا يدفئ من كان البرد يسكنه

الألم الحقيقي هو ذلك الذي لا أحد يستطيع أن يراه أو يشعر به .

*****

لقد بكيت كثيرا

حين تذكرت أياما من عمري

كنت فيه حلما و أحب الحياة

حين تذكرت أشخاصا

كانوا في الماضي ولم يبقوا معي

و أنا لا زلت لم أعتاد ذلك

*****

و لما ذهبت للبحر

لم أجد النوارس

رحلت النوارس

فتطلعت في السماء

تنهدت وبكيت كثيرا

لأنها ذكرتني

بأشخاص مثلها ذهبوا

دون موعد و دون وداع

*****

و كان شئ في داخلي

يقول لي أنت أيها التائه

اِنهض و اِذهب إلى تلك الأماكن القديمة

حيث أنه لك هناك ذكريات كثيرة

بربك ألست مشتاقا ؟

اِذهب هناك ستجد كل شئ تفتقده

ستجد أشياء كثيرة ربما قد تجد نفسك

*****

كم مرة تمنيتَ الموت ؟

و أنت غارق في الأحزان و الآلام

أيها الغريب كم أتعبتك الحياة من مرة

فاستسلمت و هربت من كل شئ

قُتلت و أنت على قيد الحياة

سقطتَ و بقيت عالقا في القاع

جرحوك كثيرا و بقيت صامتا

يئِست و مات الأمل في قلبك

شعرت بالغربة بين أقربائك و أصدقائك

عانيت ، صرخت كثيرا .. لكن لم يراك أحد

فركضت نحو الهاوية .. بقلب مكسور و بروح فارغة ، لتلقي نفسك فيها فمنعوك .

شعرتَ و شعرتُ بالوحدة و الوحشة فتمنيتَ و تمنيتُ مرور الأيام و نسِيتَ و نسَيتُ أنها من عمركَ و عمري .

*****

يملكنـــا الخـــوف فـــي اللحظـــة التـــي يضـــمن أننـــا لـــدينا شـــيئا لنخســـره ، شـــئ لا نريـــد أن نغـــامر به، شئ لا نريد تضييعه ..

فـــي حـــين عنـــدما نخســـر كـــل شـــئ لا شـــئ بعـــده يهمنـــا ، حتـــى أرواحنـــا لا تهمنـــا ، حينهـــا يـــدرك الخوف أنه خسر للأبد ..

يمكننـــا التغلـــب علـــى الخـــوف فقـــط حـــين نخســـر كـــل شـــئ أو حـــين لا يكـــون لنـــا فـــي الأصـــل شـــيئا لنخسره .

*****

حين نظرت إليك شعرت و كأنني لا أعرفك

كأنه ليس أنتَ

أنتَ لست الشخص الذي عرفته قبل هذا

حتـــى عينـــاك و كـــأن أحـــدهم قـــام بإطفـــاء النـــور الموجود بداخلهما .

*****

أشبه لذلك الجدار العالي ، القديم و العتيق ..

الذي يبدو للناس قويا و متماسكا

لكنه في الحقيقة ليس كذلك

بمجرد أن تحاول لمسه سيتساقط .

أنا هش جدا ..